

شارة الشجاعة الحمراء

تأليف
ستيفن كرين

ترجمة
نهير محمد

مراجعة
شيماء عبد الحكيم طه



الطبعة الأولى ٢٠١٣م

رقم إيداع ٢٠١٣/١٤٢٤١

جميع الحقوق محفوظة للناسر مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة

إن مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

كرين، ستيفن.

شارة الشجاعة الحمراء/ تأليف ستيفن كرين.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٣٣٩ ٩

١- القصص الإنجليزية

أ- العنوان

رسم الغلاف: ورود مصطفى، تصميم الغلاف: صفاء حامد.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية،
ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة
نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناسر.

المحتويات

٩	١- شَائِعَةُ قِتَالٍ
١٣	٢- مَخَاوِفُ هِنْرِي
١٥	٣- حِوَارٌ مَعَ صَدِيقٍ
١٧	٤- رِسَالَةٌ مِنْ وِيلْسُون
٢١	٥- وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ
٢٣	٦- الطَّلَقَةُ الْأُولَى
٢٥	٧- وَأَخِيرًا الْقِتَالُ
٢٧	٨- فِرَارُ الرِّجَالِ
٣١	٩- رَجُلُ الْغَابَةِ
٣٥	١٠- صَاحِبُ الثِّيَابِ الرَّثِيَّةِ
٣٩	١١- جِيْمُ كُونَكْلِن
٤٣	١٢- سُؤَالُ الْجُنْدِيِّ رَثِّ الثِّيَابِ
٤٧	١٣- فُرْصَةٌ ثَانِيَّةٌ لِلانْضِمَامِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ
٥١	١٤- إِصَابَةُ حَرْبٍ
٥٣	١٥- غَرِيبٌ يُقَدِّمُ الْعَوْنَ
٥٥	١٦- الْعَوْدَةُ إِلَى الْمُعَسْكَرِ
٥٩	١٧- شَجَارٌ دَاخِلَ الْمُعَسْكَرِ
٦٣	١٨- الْخِطَابُ
٦٥	١٩- التَّحَرُّكُ

- ٦٩ - ٢٠- بَطَلٌ حَقِيقِيٌّ
- ٧٣ - ٢١- جَوَارٌ
- ٧٧ - ٢٢- عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْحَقْلِ
- ٨١ - ٢٣- الرَّايَةُ
- ٨٣ - ٢٤- انْتِصَارٌ مُوقَّتٌ
- ٨٥ - ٢٥- رَأْيُ الْجِنَرَالِ
- ٨٧ - ٢٦- الْجِنَرَالَات
- ٨٩ - ٢٧- الْهُجُومُ الثَّانِي
- ٩١ - ٢٨- الْجَانِبُ الْآخَرُ مِنَ السُّورِ
- ٩٣ - ٢٩- انْتِزَاعُ الرَّايَةِ
- ٩٥ - ٣٠- بِدَايَةُ جَدِيدَةٍ

مِنْ أَحْدَاثِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ

الفصل الأول

شَاعَةُ قِتَالٍ

اِخْتَفَى الْبَرْدُ شَيْئًا فَشَيْئًا عَنْ سَطْحِ الْأَرْضِ، وَكَشَفَ الضَّبَابُ الْمُنْقَشُ عَنْ جِيْشٍ يَرْتَدِي جُنُودَهُ الزِّي الْأَزْرَقَ وَيَسْتَرِيحُونَ فَوْقَ التَّلَالِ. عِنْدَمَا اسْتَيْقِظَ الْجُنُودُ اسْتَطَاعُوا رُؤْيَةَ الْمَزِيدِ مِنَ الطُّرُقِ الْمُوجِلَةِ وَالنَّهْرِ، ذَهَبَ جُنْدِي طَوِيلُ الْقَامَةِ لِيَغْسِلَ قَمِيصَهُ، ثُمَّ عَادَ مُهْرُولًا لِيَنْشُرَ خَبْرًا قَدْ سَمِعَهُ.

قَالَ الْجُنْدِيُّ: «سَوْفَ نَتَحَرَّكَ غَدًا، سَنَتَحَرَّكَ نَحْوَ أَعْلَى النَّهْرِ، ثُمَّ نَعْبُرُهُ وَنَلْتَفُّ مِنْ خَلْفِهِمْ.»

قَالَ جُنْدِيٌّ آخَرُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «لَا أَصْدُقُ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَعْدَدْتُ لِلتَّحَرُّكِ ثَمَانِي مَرَّاتٍ فِي الْأُسْبُوعَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ، وَلَمْ نَتَحَرَّكَ بَعْدُ.»

وَبَيْنَمَا وَاصَلَ الرَّجَالُ نِقَاشَهُمْ حَوْلَ مَا إِذَا كَانُوا سَيَتَحَرَّكُونَ الْيَوْمَ التَّالِيَّ أَمْ لَا، ذَهَبَ جُنْدِيٌّ شَابٌّ يَدْعَى هَنَرِي فليمنج إِلَى كُوْجِهِ لِيَخْلُوَ إِلَى نَفْسِهِ وَيَفَكِّرَ. أَذْهَلَهُ التَّفَكُّيرُ فِي احْتِمَالِ نُشُوبِ الْقِتَالِ قَرِيبًا، وَأَنَّهُ سَيُشَارِكُ فِيهِ! سَيَكُونُ وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ الْأَحْدَاثِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

كَانَ هَنَرِي يَحْلُمُ طَوَالَ حَيَاتِهِ بِالْمَعَارِكِ وَبِأَن يَصْبِحَ بَطَلًا، لَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ أَنَّهُ سَيُشَارِكُ فِعْلِيًّا فِي الْحَرْبِ. هُنَاكَ فِي وَطَنِهِ، لَمْ يَكُنْ يُصَدِّقُ أَنَّ الْحَرْبَ حَقِيقِيَّةٌ، بَلْ ظَنَّ أَنَّ الْبَشَرَ قَدْ أَصْبَحُوا أَفْضَلَ حَالًا الْآنَ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى أَكْثَرَ مِيلًا إِلَى السَّلَامِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي، وَمُؤَكَّدٌ أَنَّهُمْ لَنْ يَخُوضُوا غِمَارَ الْحَرْبِ. لَكِنَّ حَرْبًا أَهْلِيَّةً كَانَتْ تَشْتَعِلُ الْآنَ بَيْنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَتِلْكَ فُرْصَتُهُ لِيَصْبِحَ بَطَلًا.

أَرَادَ هنري الانضمامَ إِلَى صُفُوفِ الْجَيْشِ مَرَاتٍ عِدَّةً، لَكِنَّ والدَتَهُ كَانَتْ تَنْهِيهِ عَنْ ذَلِكَ، كَانَتْ تَسُوقُ لَهُ مِائَةَ سَبَبٍ لِمُضَرَّةِ وَجُودِهِ فِي الْمَرْعَةِ أَكْثَرَ مِنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَأَخِيرًا، عِنْدَمَا ضَاقَ بِالانتِظَارِ ذُرْعًا، ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالتَّحَقَّقَ بِالْجَيْشِ. وَعِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ، قَالَتْ: «فَلْتَكُنْ مَشِيئَةُ الرَّبِّ يَا هنري.»، ثُمَّ وَاصَلَتْ حَلَبَ الْبَقَرَةِ، وَأَضَافَتْ: «أَحْتَرِسْ، وَاعْتَنِ بِنَفْسِكَ. لَا تَظُنْ أَنَّ بِمَقْدُورِكَ هَزِيمَةَ جَيْشِ الْمُتَمَرِّدِينَ كُلِّهِ عَلَى الْفُور؛ فَلَسْتَ سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ بَيْنَ كَثِيرِينَ آخَرِينَ.»

طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنَ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَوْ يَفْعَلُونَ أَشْيَاءَ أُخْرَى تَكُونُ سَبَبًا فِي شُعُورِهَا بِالْخِزْيِ مِنْهُ، وَأَضَافَتْ: «لَا أَذْرِي مَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ أَخْبِرَكَ بِهِ أَيْضًا سِوَى أَلَّا تَتَخَلَّى عَنْ وَاجِبِكَ أَبَدًا بِسَبَبِي. وَإِذَا أَتَى وَقْتُ يَجِبُ أَنْ تُقْتَلَ فِيهِ مِنْ أَجْلِ فِعْلِ الصَّوَابِ، فَلَا تُفَكِّرْ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَا هنري إِلَّا فِي فِعْلِ الصَّوَابِ.»

بَلَغَتْ رُوحُهُ الْمَعْنَوِيَّةَ عَنَانَ السَّمَاءِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى واشنطن. كَانَتْ الْكُتَيْبَةُ كُلُّهَا تَلْقَى مُعَامَلَةً حَسَنَةً لِلْغَايَةِ أَثْنَاءَ سَفَرِهِمْ حَتَّى إِنَّهُ شَعَرَ كَمَا لَوْ كَانَ بَطَلًا حَقِيقِيًّا. بَعْدَ الْعَدِيدِ مِنَ الرِّحَلَاتِ الشَّاقَّةِ وَفتراتِ التَّوَقُّفِ الطَّوِيلَةِ، حَلَّتْ شُهُورٌ مِنَ الْحَيَاةِ الْمُضْجَرَّةِ دَاخِلَ أَحَدِ الْمَعْسَكَاتِ. فِي الْمَعْسَكِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ صِرَاعٍ مَعَ الْمَوْتِ. كُلُّ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ الرَّجَالُ هُوَ مُحَاوَلَةُ الْإِحْتِفَاطِ بِدِفءِ أَجْسَامِهِمْ وَالْمُوَاطَظَةِ عَلَى النَّدْرِيبِ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا، وَكَانَ كُلُّ مَا يُفَكِّرُ فِيهِ هنري فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هُوَ الْمَعَارِكُ الْقَادِمَةَ.

لَمْ يَهْتَمَّ هنري كَثِيرًا بِطَبِيعَةِ الرِّجَالِ الَّذِينَ سَيَحَارِبُهُمْ؛ إِذْ كَانَتْ هُنَاكَ مُشْكِلةٌ أخطرُ، وَهِيَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّأَكُّدَ أَنَّهُ لَنْ يَفِرَّ مِنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ. لَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّفَكُّيرِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّ مَعْرَكَةً سَتَقَعُ حَقًّا، وَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّهُ رُبَّمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَيْدَانِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ فِيمَا يَخُصُّ الْحَرْبَ.

بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، دَخَلَ الْجُنْدِيُّ طَوِيلُ الْقَامَةِ إِلَى كُوخِهِ وَتَبِعَهُ الْجُنْدِيُّ عَالِي الصَّوْتِ الَّذِي كَانَ قَدْ خَالَفَهُ الرَّأْيَ سَابِقًا، وَكَانَا لَا يَزَالَانِ عَلَى خِلَافِهِمَا. كَانَ الْجُنْدِيُّ طَوِيلُ الْقَامَةِ يُسَمَّى جيم كونكلن، وَالْجُنْدِيُّ عَالِي الصَّوْتِ يُسَمَّى ويلسون.

قَالَ جيم وَهُوَ يَدْخُلُ الْكُوخَ مُلَوِّحًا بِيَدَيْهِ: «هَذَا صَحِيحٌ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تُصَدِّقَ ذَلِكَ أَوْ لَا، كُلُّ مَا عَلَيْكَ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ تَجْلِسَ وَتَنْتَظِرَ. سَتَعْرِفُ عَمَّا قَرِيبٍ أَنَّنِي كُنْتُ مُحَقًّا.»
قَالَ ويلسون: «حَسَنًا، إِنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

رَدَّ جِيمٌ فِي حِدَّةٍ: «لَمْ أَقُلْ إِنَّنِي أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ.» وَبَدَأَ يَجْمَعُ مُعَلِّقَاتِهِ دَاخِلَ حَقِيبَةِ ظَهْرِهِ.

رَاقِبُهُمَا هَنَرِي فِي قَلْقٍ، وَفِي النَّهَائَةِ سَأَلَ جِيمٌ: «أَمِنَ الْمُؤَكَّدُ إِذَنْ أَنَّنَا بِصَدَدٍ إِحْدَى الْمَعَارِكِ يَا جِيم؟»

رَدَّ جِيمٌ: «بِالطَّبَعِ، هُنَاكَ مَعْرَكَةٌ، انْتَظِرْ فَقَطْ حَتَّى الْغَدِ، وَسَتَرَى وَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ الْمَعَارِكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. انْتَظِرْ فَحَسْبُ.»

تَحَدَّثَ جِيمٌ عَنِ السَّرَايَا الْأُخْرَى وَعَنِ الْمَعَارِكِ الَّتِي سَمِعَ عَنْهَا، ثُمَّ سَأَلَهُ هَنَرِي عَمَّا قَدْ تَفَعَّلَهُ كَتِيبَتُهُمَا.

قَالَ جِيمٌ فِي هُدُوءٍ: «أَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيَبْلُغُونَ بَلَاءً حَسَنًا مَا إِنْ يَحْتَدِمُ الْقِتَالُ. يَسْخَرُ مِنْهُمْ الْجَمِيعُ لِأَنَّهُمْ حَدِيثُو الْعَهْدِ بِالْقِتَالِ، لَكِنَّهُمْ سَيَبْلُغُونَ بَلَاءً حَسَنًا.»

سَأَلَهُ هَنَرِي: «هَلْ تَظُنُّ أَنَّ أَيًّا مِنْ الصَّبِيَّةِ سَيَلُودُ بِالْفِرَارِ؟»

قَالَ جِيمٌ: «رُبَّمَا يُقَدِّمُ قَلِيلُونَ عَلَى ذَلِكَ؛ فَتِلْكَ الْفِتْنَةُ مُوجُودَةٌ فِي كُلِّ كَتِيبَةٍ، خَاصَّةً عِنْدَمَا يُشَارِكُونَ فِي الْقِتَالِ أَوَّلَ مَرَّةٍ. لَا يُمَكِّنُكَ الْمَرَاهَنَةُ عَلَى شَيْءٍ، لَكِنْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيُقَاتِلُونَ أَفْضَلَ مِنَ الْبَعْضِ وَأَسْوَأَ مِنْ آخَرِينَ.»

سَأَلَهُ هَنَرِي: «هَلْ فَكَّرْتَ أَنَّكَ أَنْتَ نَفْسَكَ رُبَّمَا تَفِرُّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ يَا جِيم؟» ثُمَّ ضَحِكَ كَمَا لَوْ كَانَ يَمْزُحُ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يُغْضِبَ صَدِيقَهُ.

قَالَ جِيمٌ: «حَسَنًا، فَكَّرْتُ فِي أَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدْ تَحْتَدِمُ كَثِيرًا، وَإِذَا فَرَّ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَسَافِرُ أَنَا الْآخَرُ، وَعِنْدَمَا أَفْعَلُ، سَأَجْرِي بِأَقْصَى قُوَّتِي. لَكِنْ إِذَا صَمَدَ الْجَمِيعِ وَقَاتَلُوا، فَسَوْفَ أَصْمُدُ وَأُقَاتِلُ. أَرَاهُنَّ عَلَى ذَلِكَ.»

شَعَرَ هَنَرِي بِالسَّعَادَةِ لِسَمَاعِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَقَدْ ظَنَّ أَنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الْآخَرِينَ مِمَّنْ لَا يَمْتَلِكُونَ الْخَبْرَةَ يَتَّقُونَ بَأْنَفْسِهِمْ تَمَامَ الثَّقَةِ، أَمَّا الْآنَ وَبَعْدَ أَنْ عَرَفَ الْحَقِيقَةَ،

شَعَرَ بِأَنَّهُ فِي حَالٍ أَفْضَلَ قَلِيلًا.

الفصل الثاني

مَخَافُ هِنْرِى

فِى الصَّبَاحِ التَّالِى، اكْتَشَفَ هِنْرِى أَنَّ جِىمَ كَانَ مُخْطِئًا؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قِتَالٌ فِى هَذَا الْيَوْمِ. سَخِرَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ الْآخَرِينَ مِنْ جِىمٍ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ فِى عِرَاكِ بِالْأَيْدِى مَعَ رَجُلٍ مِنْ «تَشَاتْفِيلِد كورنرز». تَشَاجَرُ وَيَلْسُون — الْجُنْدِيُّ عَالِى الصَّوْتِ — هُوَ الْآخَرُ، وَكَانَ عَلَى الْمَلَاذِمِ فَضْ ذَلِكَ الشُّجَارِ. فِى غُضُونِ ذَلِكَ، كَانَ هِنْرِى لَا يَزَالُ غَيْرَ وَاثِقٍ مِنْ نَفْسِهِ.

ظَلَّ هِنْرِى أَيَّامًا يُفَكِّرُ فِى هَذَا الْأَمْرِ. كَانَ لَا يَزَالُ قَلَقًا مِنْ أَنَّهُ سَيَفِرُّ مَعَ أَوَّلِ بَادِرَةٍ لِلْقِتَالِ. وَأَخِيرًا قَرَّرَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِإِثْبَاتِ قُدْرَاتِهِ هِيَ دُخُولُ سَاحَةِ الْوَعَى. عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَظِرَ لِيَرَى هَلْ سَيُحَارِبُ حَقًّا أَمْ لَا؛ لِذَلِكَ، ظَلَّ يَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ، وَحَاوَلَ أَنْ يُقَارِنَ نَفْسَهُ بِرِفَاقِهِ.

شَعَرَ هِنْرِى أَنَّ حَالَهُ أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ عِنْدَمَا نَظَرَ إِلَى جِىمِ الَّذِى لَمْ تَبْدُ عَلَيْهِ أَيُّ أَمَارَةٍ لِلْقَلَقِ، وَالَّذِى بَدَأَ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ، وَكَأَنَّهُ لَا يُوْجَدُ شَيْءٌ يَفُوقُ قُدْرَاتِهِ. عِنْدَمَا تَأَمَّلَ هِنْرِى حَالَ الْجُنُودِ الْآخَرِينَ، كَانَ يَظُنُّ أحيانًا أَنَّهُمْ جَمِيعًا أَبْطَالٌ. مُؤَكَّدٌ أَنَّهُمْ جَمِيعًا أَفْضَلُ مِمَّا قَدْ يَأْمَلُ هُوَ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ. لَكِنْ أحيانًا أُخْرَى كَانَ يَجِدُهُمْ قَلِقِينَ وَمُتَرَدِّدِينَ مِثْلَهُ تَمَامًا. فِى صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، كَانَ هِنْرِى يَقِفُ بِصُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَثِيرِينَ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَهَاَمَسُونَ وَيُخْبِرُ أَحَدُهُمُ الْآخَرَ مُجَدِّدًا بِالشَّائِعَاتِ الْقَدِيمَةِ. كَانُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ الْقِتَالَ أَصْبَحَ وَشِيقًا. وَفِى الظُّلْمَةِ الَّتِى تَسْبِقُ طُلُوعَ النَّهَارِ، كَانَ لِبَاسُهُمُ الْعَسْكَرِيُّ يَتَوَهَّجُ بِاللَّوْنِ الْأَزْرَقِ الدَّاكِنِ. كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى وَشِكِ السُّطُوعِ حِينَمَا لَاحَ الْبُنْيَانُ الضَّخْمُ لِلْعَقِيدِ عَلَى جَوَادِهِ. وَقَفَتِ الْكُتَيْبَةُ وَقْتًا بَدَأَ طَوِيلًا، حَتَّى أَخَذَ صَبْرُ هِنْرِى يَنْفُذَ.

أخيراً، اتَّجَهَ نَحْوَهُمْ رَجُلٌ آخَرُ عَلَى صَهْوَةٍ جَوَادِهِ، حَاوَلَ الْجُنُودُ الْقَرِيبُونَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَرْقُوا السَّمْعَ لِحَدِيثِهِ مَعَ الْعَقِيدِ. وَبَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقَ، اسْتَدَارَ الرَّجُلُ الثَّانِي بِجَوَادِهِ، وَابْتَعَدَ. وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ، بَدَأَ الْجُنُودُ فِي السَّيْرِ وَسَطَ الظَّلَامِ. بَدَتْ الْكُتَيْبَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَشْبَهَ بِوَحْشٍ مُتَحَرِّكِ ذِي أَقْدَامٍ عَدِيدَةٍ. كَانَ الْهَوَاءُ بَارِداً وَمُعَبَّئاً بِالْنَدَى، وَكَانَ الْعُشْبُ الْمُبْلَلُ بِالْنَدَى يُصْدِرُ حَفِيفاً كَالْحَرِيرِ كُلَّمَا وَطِئَهُ الْجُنُودُ.

أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَرَأَى هِنْرِي رَتَلَيْنِ طَوِيلَيْنِ أَسْوَدَيْنِ مُكْتَظَّيْنِ بِالْجُنُودِ. اخْتَفَى الرَّتَلَانِ فَوْقَ تَلٍّ أَمَامَهُمْ، وَتَوَارَيَا عَنِ الْأَنْظَارِ فِي الْغَابَاتِ خَلْفَهُمْ. كَانَا صَفَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ يَسِيرُونَ إِلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، لَكِنَّهُمَا بَدَوَا كُنُعْبَانَيْنِ يَرْحَفَانِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ.

لَمْ يَكُنِ النَّهْرُ ظَاهِراً فِي الرُّؤْيَةِ، وَوَاصِلَ الْجُنُودِ نِزَاعَهُمْ حَوْلَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الْخُطْطُ. لَمْ يُشَارِكْ هِنْرِي فِي تِلْكَ النِّزَاعَاتِ، بَلْ ظَلَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ أَتْنَاءَ سَيْرِهِ هَلْ سَيَفِرُّ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ أَمْ لَا. لَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَقُّفَ عَنِ التَّفَكُّيرِ فِي الْأَمْرِ. كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَمَامِ مُتَوَقِّعاً فِي الْغَالِبِ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ إِطْلَاقِ النَّيِّرَانِ.

بَدَأَ الرِّجَالُ الْآخَرُونَ فِي الْمُرَاحِ وَالضَّحِكِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ أَخَذَ يُغْنِي، وَشَعَرَ هِنْرِي أَنَّهُ فِي عَزَلَةٍ عَنِ الْآخَرِينَ. عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ، انْقَسَمَ رَتَلُ الْجُنُودِ إِلَى وَحَدَاتٍ، وَدَخَلَتْ كُلُّ وَحْدَةٍ إِلَى الْحُقُولِ كَيْ تَخِيَمَ. بَدَتْ الْخِيَامُ وَكَأَنَّهَا نَبَاتَاتٌ غَرِيبَةٌ، وَرَصَعَتْ نِيرَانُ الْمُخِيَمِ صَفْحَةَ اللَّيْلِ كَأَنَّهَا زُهُورٌ حُمْرَاءُ.

الفصل الثالث

حِوَارٌ مَعَ صَدِيقٍ

سَارَ هنري بِمُفْرِدِهِ فِي الظَّلَامِ. اسْتَلْقَى فَوْقَ الْحَشَائِشِ وَشَعَرَ بِالْأَسَى عَلَى حَالِهِ. كَانَ يَتَمَنَّى الْعُودَةَ إِلَى مَنْزِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَالْقِيَامَ بِجَوْلَاتِهِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْحَظِيرَةِ، وَمِنَ الْحَظِيرَةِ إِلَى الْحَقْلِ، وَمِنَ الْحَقْلِ إِلَى الْحَظِيرَةِ، وَمِنَ الْحَظِيرَةِ إِلَى الْبَيْتِ. تَذَكَّرَ هنري كَمْ كَانَ يَصِيحُ فِي الْبَقَرَةِ وَرِفَاقِهَا، لَكِنَّهُ الْآنَ يُفَكِّرُ فِيهَا فِي سَعَادَةٍ. أَخْبَرَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ لِيَكُونَ جُنْدِيًّا، وَفَكَّرَ كَمْ هُوَ شَدِيدُ الْإِخْتِلَافِ عَنِ الرِّجَالِ الْآخَرِينَ فِي فِرَقَتِهِ.

سَمِعَ هنري حَفِيفَ الْحَشَائِشِ، وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأَى الْجُنْدِيَّ ذَا الصَّوْتِ الْعَالِي، فَنَادَاهُ:

«ويلسون!»

قَالَ ويلسون: «مَرْحَبًا يَا هنري، أَهَذَا أَنْتَ؟ مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ هُنَا؟»

قَالَ هنري: «أَفَكِّرُ.»

بَدَأَ ويلسون فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْمَعْرَكَةِ الَّتِي يَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيُشَارِكُونَ فِيهَا قَرِيبًا.

قَالَ ويلسون: «سَنَنَالُ مِنْهُمْ الْآنَ! أَحِيرًا سَنَنَالُ مِنْهُمْ.»

قَالَ هنري: «نَعَمْ، يَقُولُ جيم كوناكن إِنَّنَا سَنَخُوضُ الْكَثِيرَ مِنَ الْقِتَالِ.»

قَالَ ويلسون: «أَظُنُّهُ عَلَى حَقِّ هَذِهِ الْمَرَّةِ؛ فَأَمَامَنَا مَعْرَكَةٌ كَبِيرَةٌ، هَذَا أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ.»

قَالَ هنري: «أَظُنُّكَ سَتُبْلِي بِلَاءً حَسَنًا.»

رَدَّ ويلسون: «لَا أَعْلَمُ، أَغْتَقِدُ أَنَّي سَأَفْعَلُ مِثْلَمَا يَفْعَلُ الْبَاقُونَ، سَوْفَ أَبْذُلُ قِصَارَى

جُهْدِي.»

سَأَلَهُ هنري: «كَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَفِرَّ حِينَمَا يَحِينُ وَقْتُ الْقِتَالِ؟»

قَالَ ويلسون: «أَفِرُّ؟!» ثُمَّ ضَحِكَ، وَأَضَافَ: «أَفِرُّ؟! بِالطَّبَعِ لَنْ أَفِرَّ!»

قال هنري: «حَسَنًا، ظَنَّ الْكَثِيرُ مِنَ الرِّجَالِ أَنَّهُمْ سَيُحَقِّقُونَ انْتِصَارَاتٍ عَظِيمَةً قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ، لَكِنْ عِنْدَمَا حَانَ الْوَقْتُ، فَرُّوا.»

قال ويلسون: «هَذَا صَحِيحٌ عَلَى مَا أَعْتَقِدُ، لَكِنِّي لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، وَمَنْ يُرَاهِنُ عَلَى فِرَارِي فَسَوْفَ يَخْسِرُ.»

قال هنري: «سُحْقًا! هَلْ أَنْتَ أَشْجَعُ رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ؟»

ردَّ ويلسون: «لَا، لَسْتُ كَذَلِكَ، وَلَمْ أَقُلْ إِنِّي الْأَشْجَعُ. قُلْتُ إِنِّي سَأَخْذُ نَصِيبِي مِنَ الْقِتَالِ. وَمَنْ تَكُونُ أَنْتَ لِتُخَاطِبَنِي هَكَذَا عَلَى أَيَّْةٍ حَالٍ؟»

حدَّق ويلسون فِي وَجْهِ هِنري لَحْظَةً ثُمَّ سَارَ بَعِيدًا، فَصَاحَ هِنري: «لَا دَاعِيَ لَأَنْ يُغَضِبَكَ الْأَمْرُ!»

شَعَرَ هِنري بِالْوَحْدَةِ وَالتَّعَاسَةِ. بَدَأَ أَنَّهُ لَا أَحَدَ غَيْرَهُ يَشْغُلُ بَالَهُ هَلْ سَيَفِرُّ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ أَمْ لَا. شَعَرَ أَنَّهُ غَرِيبٌ عَنْهُمْ، فَعَادَ إِلَى خَيْمَتِهِ وَاسْتَلْقَى عَلَى أَحَدِ الْأَعْطِيَةِ بِجَوَارِ جِيمِ الَّذِي كَانَ يَغْطِي فِي نَوْمِهِ. فِي الظَّلَامِ، تَرَاءَى لِهِنري فِي خَيَالِهِ الْخَوْفُ الَّذِي سَيَجْعَلُهُ يَرْكُضُ بَعِيدًا، بَيْنَمَا يَقِفُ الْآخَرُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ يُقَاتِلُونَ. كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ هَذَا الْوَحْشِ، ظَلَّ يَحْدِّقُ فِي أَنْعَاسِ النَّارِ عَلَى جِدَارِ خَيْمَتِهِ حَتَّى أَرْهَقَهُ الْقَلَقُ، فَغَطَّ فِي النَّوْمِ.

الفصل الرابع

رِسَالَةٌ مِنْ وِيلْسُون

حَلَّتْ لَيْلَةٌ جَدِيدَةٌ، وَعَبَّرَ رَتَلَا الْجُنُودِ اثْنَيْنِ مِنَ الْكِبَارِيِّ. كَانَ هِنري وَاثِقًا أَنَّهُمْ سَيَتَعَرَّضُونَ لِلْمُوَاجَهَةِ مِنَ الْكُھُوفِ فِي الْغَابَاتِ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. لَمْ يُزَعْجْهُمْ أَحَدٌ فِي مَكَانِ تَخْيِيمِهِمْ، وَنَامَ الْجُنُودُ نَوْمَ الرِّجَالِ الْمُرهَقِينَ. اسْتَيْقَظُوا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، وَسَارُوا فِي طَرِيقِ ضَيْقٍ يُؤَدِّي إِلَى قَلْبِ الْغَابَةِ.

بَدَأَ الرِّجَالُ يَعْذُونَ الْأَمِّيَالَ الَّتِي قَطَعُوهَا، كَثِيرُونَ مِنْهُمْ أَلْقَوْا حَقَائِبَهُمْ بَعِيدًا، وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَصْبَحَ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْهُمْ لَا يَحْمِلُ سِوَى الْمَلَابِيسِ الصَّرُورِيَّةِ، وَالْأَغْطِيَةِ، وَقَرَبِ الْمِيَاهِ، وَالْبَنَادِقِ، وَالذَّخِيرَةِ.

قَالَ جيم لهنري: «يُمْكِنُكَ الْآنَ أَنْ تَأْكُلَ وَتُصَوِّبَ، هَذَا كُلُّ مَا عَلَيْكَ فِعْلُهُ.»
وَاصَلَ الْجُنُودُ سَبِيلَهُمْ بِضَعَةِ أَيَّامٍ، وَبَدَأَ هِنري يُفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ وَكَأَنَّهُ مَسِيرَةٌ لِلرِّجَالِ فِي زِيَّهِمُ الْعَسْكَرِيِّ الْأَزْرَقِ يُظْهِرُونَ فِيهَا كَفَاءَتَهُمْ فِي السَّيْرِ لَيْسَ أَكْثَرَ.

غَيْرَ أَنَّهُ فِي فَجْرِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، رَكَلَ جيم هِنري الَّذِي — قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ تَمَامًا — وَجَدَ نَفْسَهُ يَجْرِي عَلَى الطَّرِيقِ وَسَطَ رِجَالٍ يُلْهَثُونَ مِنَ الْجَرِيِّ سَرِيعًا. كَانَ يَأْتِيهِمْ مِنْ بَعِيدٍ صَوْتُ دَوِيِّ الْأَعْيِرَةِ النَّارِيَّةِ، وَكَانُوا يَرْكُضُونَ بِاتِّجَاهِ هَذَا الصَّوْتِ مُبَاشَرَةً.

شَعَرَ هِنري بِالِارْتِبَاكِ، وَحَاوَلَ أَنْ يُفَكِّرَ أَثْنَاءَ رَكْضِهِ مَعَ رِفَاقِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ خَلْفَهُ سَيَدْهُسُونَهُ إِذَا سَقَطَ أَرْضًا؛ فَعَلِيهِ أَنْ يُرَكِّزَ حَتَّى لَا يَتَعَثَّرَ. شَعَرَ وَكَأَنَّهُ يَدْفَعُ إِلَى الْأَمَامِ بِفِعْلِ حَشْدٍ مِنَ الرِّعَاعِ.

انْضَمَّتِ الْوَحَدَاتُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَشْهَدِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَحِينَهَا عَلِمَ هِنري أَنَّ وَقْتَهُ قَدْ حَانَ؛ إِنَّهُ عَلَى وَشَكِّ الْإِحْتِبَارِ. نَظَرَ حَوْلَهُ، وَرَأَى أَنَّ فِرَارَهُ مِنَ الْوَحْدَةِ مُسْتَحِيلٌ. كَانُوا

يُحِيطُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى شَعَرَ وَكَأَنَّهُ بِدَاخِلِ صُنْدُوقٍ مُتَحَرِّكِ. أَدْرَكَ هنري أَنَّهُ لَمْ يَرْعَبْ قَطُّ فِي الانْضِمَامِ إِلَى الْحَرْبِ، وَشَعَرَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ الانْضِمَامَ إِلَى الْجَيْشِ. لَقَدْ اسْتَدْرَجَتْهُ الْحُكُومَةُ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَشْعُرُ أَنَّ هَذَا وَاجِبُهُ، وَالْآنَ تَأْخُذُهُ إِلَى نَهَايَةِ حَيَاتِهِ. شَعَرَ بِالْغَضَبِ لِأَنَّهُ هُنَا، وَفَقَدْ ثَقَّتْهُ فِي الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ مَسْئُولِيَّةَ الْجَيْشِ.

عِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجَالُ إِلَى الْخَلَاءِ، تَوَقَّعَ هنري أَنْ يَرَى قِتَالًا، لَكِنَّهُ رَأَى مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةً مِنَ الرَّجَالِ يَرْكُضُونَ ذَهَابًا وَإِيَابًا. كَانُوا يُطْلِقُونَ النَّارَ فِي الْأَفْقِ. رَفَرَفَ أَحَدُ الْأَعْلَامِ، وَمَرَّتِ الْوَحْدَةُ بِجَنَّةِ رَجُلٍ رَفَعَتِ الرِّيَّاحُ لِحِيَّتَهُ وَكَأَنَّ يَدًا كَانَتْ تَدَاعِبُهَا. امْتَلَأَتْ رَأْسُ هنري بِأَفْكَارٍ غَرِيبَةٍ بَيْنَمَا وَاصَلَ السَّيْرَ. ظَنَّ أَنَّ الْأَرْضَ تُهَدِّدُهُ، وَأَنَّ الْعَدُوَّ سِيْهَاجِمُهُ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ وَيَقْتُلُهُ هُوَ وَأَصْدِقَاءَهُ. أَرَادَ أَنْ يُحَذِّرَهُمْ مِنْ أَنَّ الْجِنْرَالَاتِ لَيْسُوا عَلَى وَعْيٍ بِمَا يَفْعَلُونَ، لَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَعَلَى الْأَرْجَحِ سَيَضْحَكُونَ مِنْهُ.

عِنْدَمَا تَوَقَّفُوا وَاسْتَلْقَوْا عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَكُونُوا فِي مَأْمَنٍ، بَدَأَ الْعَدِيدُ مِنْ رِجَالِ الْوَحْدَةِ بِنَاءَ تِلَالٍ صَغِيرَةٍ أَمَامَهُمْ. اسْتَحْذَمُوا الْأَحْجَارَ، وَالْعِصْيَ، وَالتُّرَابَ، وَأَيَّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ التَّصَدِّي لِلرَّصَاصِ. أَخَذَ الرَّجَالُ يَتَنَاقَشُونَ: هَلْ فَعَلَ ذَلِكَ شَيْءٌ مُشْرِفٌ أَمْ أَنَّهُ أَكْرُمٌ لَهُمْ أَنْ يَقِفُوا وَيُوَاجِهُوا الْعَدُوَّ دُونَ أَيِّ حِمَايَةٍ؟ صَدَرَ الْأَمْرُ لِلْوَحْدَةِ بِالتَّحَرُّكِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ مِمَّا جَعَلَ صَبْرَ هنري يَنْفَدُ، وَتَسَاءَلَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ لِمَاذَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟!

أَكَلَ جِيم الْقَلِيلِ، وَأَجَابَ: «حَسَنًا، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا مُوَاصَلَةُ السَّيْرِ كَيْ نَمْنَعَ الْعَدُوَّ مِنَ الْإِقْتِرَابِ كَثِيرًا أَوْ شَيْئًا كَهَذَا.»

فِي الظَّهِيرَةِ، تَحَرَّكَتِ الْوَحْدَةُ فَوْقَ نَفْسِ الْأَرْضِ الَّتِي سَارُوا فَوْقَهَا فِي الصَّبَاحِ. بَدَتْ الْأَرْضُ مَأْلُوفَةً لهنري أَكْثَرَ؛ فَلَمْ تَكُنْ تُهَدِّدُهُ بَعْدَ الْآنَ، لَكِنْ عِنْدَمَا يَمْشُونَ عَبْرَ أَيِّ مَنَاطِقَةٍ جَدِيدَةٍ، تَعَاوَدَ هنري مَسَاعِرَ الْقَلْقِ الْقَدِيمَةِ النَّابِعَةِ مِنَ الْبَلَاهَةِ وَالْخَوْفِ. بَعْدَ بَرْهَةٍ، قَرَّرَ هنري أَنَّهُ لَنْ يَأْبَهُ لِتِلْكَ الْبَلَاهَةِ. تَسَاءَلَ كَيْفَ سَيَكُونُ الْوَضْعُ إِذَا مَا أُصِيبَ فِي مَعْرَكَتِهِ الْأُولَى.

بَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَ دَوِيَّ الْأَعْيَةِ النَّارِيَّةِ أَمَامَهُ، وَرَأَى الْجُنُودَ يَرْكُضُونَ، تَتْبَعُهُمْ أَصْوَاتُ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ. نَسِيَ هنري أَمْرَ احْتِمَالِ إِصَابَتِهِ بِطُلُقِ نَارِيٍّ، وَشَاهَدَ الْمَعْرَكَةَ فِي ذُهُولٍ. فَجْأَةً! شَعَرَ بِبِدِّ ثَقِيلَةٍ فَوْقَ كَتِفِهِ، وَعِنْدَمَا اسْتَدَارَ رَأَى وَيْلَسُونَ، الْجُنْدِيَّ عَالِي الصَّوْتِ.

قَالَ وِيلِسُون: «إِنَّهَا مَعْرَكَتِي الْأُولَى وَالْأَخِيرَةُ يَا فَتَى». كَانَ وِيلِسُون شَاحِبًا لِلْغَايَةِ وَشَفَتَاهُ تَزْتَجِفَانِ.

غَمَّعَ هِنْرِي فِي ذُحُولٍ بِالْغِ: «مَا الْأَمْرُ؟!»

أَجَابَ وِيلِسُون: «قُلْتُ: إِنَّهَا مَعْرَكَتِي الْأُولَى وَالْأَخِيرَةُ. شَيْءٌ مَا يُخْبِرُنِي ...»

سَأَلَ هِنْرِي: «مَاذَا؟!»

قَالَ وِيلِسُون: «أُرِيدُكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذَا إِلَى أَهْلِي». وَأَنْهَى كَلَامَهُ بِتَنْهِيدَةٍ عَبَّرَتْ عَنْ أَسْفِهِ عَلَى حَالِهِ، وَسَلَّمَ هِنْرِي مَظْرُوفًا صَغِيرًا.

قَالَ هِنْرِي: «مَا الَّذِي ...» لَكِنَّ وِيلِسُون رَمَقَهُ بِنَظَرَةٍ كَأَنَّهَا آتِيَةٌ مِنْ أَعْمَاقِ الْقُبُورِ، وَرَفَعَ يَدَهُ الْوَاهِنَةَ، ثُمَّ اسْتَدَارَ مُبْتَغِدًا.

الفصل الخامس

وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ

تَوَقَّفَ الرَّجَالُ عَلَى حَافَّةِ إِحْدَى الْحَدَائِقِ، حَيْثُ جَثَمُوا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ يُصَوِّبُونَ أَسْلِحَتَهُمْ نَحْوَ الْحُقُولِ، وَيَحَاوِلُونَ النَّظَرَ فِيمَا وَرَاءَ الضُّبَابِ؛ حَيْثُ اسْتَطَاعُوا رُؤْيَةَ رِجَالِ آخَرِينَ يَرْكُضُونَ وَبَعْضُهُمْ يَصِيحُ وَيَلُوحُ. نَظَرَ رِجَالُ وَحْدَةِ هِنري وَاسْتَمَعُوا فِي حَرِصٍ، وَظَلُّوا مَشْغُولِينَ بِالْحَدِيثِ عَنِ الشَّائِعَاتِ الَّتِي سَمِعُوهَا.

قَالَ أَحَدُ الرِّجَالِ: «قَابَلْتُ أَحَدَ الْفَتَيَانِ مِنْ وَلَايَةِ «مين»، وَقَالَ إِنَّ فِرْقَتَهُ حَارَبَتْ جَيْشَ الْمُتَمَرِّدِينَ كُلَّهُ لِمُدَّةِ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ وَقَتَلَتْ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْهُمْ. قَالَ إِنَّ مَعْرَكَةً أُخْرَى كَهَذِهِ سَوْفَ تُنْهِي الْحَرْبَ تَمَامًا.»

تَزَايَدَ الصَّخَبُ أَمَامَهُمْ، وَتَجَمَّدَ هِنري وَرَفَاقُهُ صَمْتًا فِي أَمَاكِنِهِمْ. بِإِمْكَانِهِمْ رُؤْيَةَ الْعَلَمِ يُرْفَرِفُ غَضَبًا وَسَطَ الدُّخَانِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ صُورٌ ضَبَابِيَّةٌ لِلْوَحَدَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ. لَازَتْ مَجْمُوعَةٌ مُرْتَبِكَةٌ مِنَ الرِّجَالِ بِالْفِرَارِ عَبْرَ الْحُقُولِ.

مَرَّتْ قَذِيفَةٌ مُدَوِّيَّةٌ مِثْلَ الْعَاصِفَةِ فَوْقَ رُءُوسِ جُنُودِ الْإِحْتِيَاطِ، وَهَبَطَتْ فَوْقَ أَرْضِ الْبُسْتَانِ، ثُمَّ انْفَجَرَتْ لِتُبْعِثَ التُّرَابَ الْبُنِّيَّ وَأَوْرَاقَ الصَّنَوْبَرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَبَدَأَ صَفِيرُ الرِّصَاصَاتِ بَيْنَ الْأَغْصَانِ وَانْطِلَاقُهَا بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْأَشْجَارِ. وَتَدَلَّتِ الْأَغْصَانُ وَالْأَوْرَاقُ إِلَى الْأَسْفَلِ، وَكَأَنَّ آلَافَ الْفَنُوسِ الْخَفِيَّةِ تَنْزِلُ عَلَيْهَا؛ فَاضْطُرَّ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى تَغْطِيَةِ رُءُوسِهِمْ.

أُصِيبَ مُلَازِمُ كَتِيبَةِ هَنَرِي بِطُلُقَةٍ فِي يَدِهِ، وَأَخَذَ يَكِيلُ اللَّعَنَاتِ حَتَّى سَرَتْ صَحِجَّتُهُ
مَشُوبَةً بِالتَّوْتُرِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْكَتِيبَةِ. ضَغَطَ الْمُلَازِمُ عَلَى جُرْحِهِ كَيْ لَا تَتَسَاقَطَ الدَّمَاءُ فَوْقَ
سِرْوَالِهِ، ثُمَّ رَبَطَ قَائِدُ الْفِرْقَةِ مِنْدِيلًا حَوْلَ الْجُرْحِ.

رَفَرَفَتْ رَايَةُ الْمَعْرَكَةِ بَعِيدًا فِي جُنُونٍ، وَكَأَنَّهَا تُكَافِحُ لِتَحْرِيرِ نَفْسِهَا. اِمْتَلَأَ الدُّخَانُ
الدَّائِرُ فِي الْهَوَاءِ بِوَمَضَاتٍ أَفْقِيَّةٍ، وَظَهَرَ عِبْرَهُ رِجَالٌ يَهْرُبُونَ بِسُرْعَةٍ مِنَ الْقِتَالِ، ثُمَّ اِزْدَادَ
عَدَدُهُمْ حَتَّى بَدَأَ وَكَأَنَّ الْكَتِيبَةَ كُلَّهَا تَلُوذُ بِالْفِرَارِ. وَانْخَفَضَ الْعِلْمُ وَكَأَنَّهُ يُحْتَضَرُ، وَبَدَتْ
حَرَكَتُهُ وَهُوَ يُنْكَسُ إِشَارَةً لِلْيَأْسِ.

شَعَرَ هَنَرِي بِالذُّعْرِ مِنَ النُّظَرَاتِ الَّتِي عَلَتْ وَجْوهَ الْفَارِّينَ، شَعَرَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ فِي
الْعَالَمِ قَدْ يَمْنَعُهُ مِنَ الْفِرَارِ إِذَا لَاحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ، لَكِنْ كَانَ عَلَى الرَّجَالِ فِي وَحْدَتِهِ التَّشَبُّثُ
بِمَوَاقِعِهِمْ. وَقَفُوا جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ يَرْتَعِشُونَ وَيَزْدَادُونَ شُحُوبًا.

جَالَتْ بِخَاطِرِ هَنَرِي فِكْرَةٌ وَجِيدَةٌ فِي خِصْمٍ تِلْكَ الْفَوْضَى؛ فَالْوَحْشُ الَّذِي تَسَبَّبَ فِي
فِرَارِ الْوَحَدَاتِ الْأُخْرَى لَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ. وَقَرَّرَ هَنَرِي أَنْ يَتَرَقَّبَهُ، ظَنَّ أَنَّهُ لَوْ اسْتَطَاعَ فَعَلَ
ذَلِكَ، سَيَكُونُ قَائِدًا عَلَى الْفِرَارِ أَسْرَعَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ.

الفصل السادس

الطَّلَقَةُ الْأُولَى

كَانَتْ هُنَاكَ لَحَظَاتٌ انْتِظَارٍ كَثِيرَةٌ، وَتَذَكَّرَ هِنْرِي الشَّارِعَ فِي مَدِينَتِهِ عِنْدَمَا كَانَ الْجَمِيعُ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ مَوْكِبِ السَّيْرِكِ فِي الرَّبِيعِ.

صَاحَ أَحَدُهُمْ فَجَاءَةً: «هَآ قَدْ أَتَوْا!»

سَرَتْ غَمْغَمَاتٌ وَهَمَّهَمَاتٌ بَيْنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ سَحَبُوا صَنَادِيقَ الرِّصَاصِ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ، وَغَيَّرُوا مَوَاقِعَهُمْ فِي حَذَرٍ بَالِغٍ. «هَآ قَدْ أَتَوْا! هَآ قَدْ أَتَوْا!» وَتَحَرَّكَتْ أَرْنُودُ الْبِنَادِقِ.

عَبَّرَ الْحَقْلَ الْمُغَطَّى بِالدُّخَانِ ظَهَرَ سِرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ فِي زِيَّهِمُ الرَّمَادِيِّ، يَصِيحُونَ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ صَاخِبَةٍ. عِنْدَمَا رَأَاهُمْ هِنْرِي ارْتَبَكَ فَجَاءَةً مِنْ فِكْرَةٍ أَنَّ بُنْدُقِيَّتَهُ رُبَّمَا لَا تَكُونُ مُحْشُوَّةً بِالرِّصَاصِ. حَاوَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَتَى حَسَّاهَا، لَكِنَّهُ كَانَ مُرْتَبِكًا لِلْغَايَةِ.

سَحَبَ جَنْرَالٌ لَا يَرْتَدِي قُبْعَةً جَوَادَهُ لِيَقِفَ بِجَوَارِ الْعَقِيدِ الَّذِي يَرَأْسُ كَتِيبَةِ هِنْرِي، وَلَوَّحَ بِقُبْضَةِ يَدِهِ فِي وَجْهِ الْعَقِيدِ.

صَاحَ اللُّوَاءُ مُحْتَدًّا: «كَانَ عَلَيْكَ رَدُّعُهُمْ! كَانَ عَلَيْكَ رَدُّعُهُمْ!»

وَسَطَ شُعُورِ الْعَقِيدِ بِالْإِرْتِبَاكِ، بَدَأَ يَتَحَدَّثُ مُتَلَعِنًا.

«حَسَنًا يَا جَنْرَالُ! سَس... وَ... فَ دَس... دَس... نَفَعَلْ ... نَفَعَلْ مَا فِي وُسْعِنَا يَا جَنْرَالُ.»

أَوْمَأَ الْجَنْرَالُ إِيْمَاءً مَمْرُوجَةً بِالْغَضَبِ، وَقَادَ الْجَوَادَ مُبْتَعِدًا. غَمَّعَ أَحَدُ الرِّجَالِ

بِالْقُرْبِ مِنْ هِنْرِي: «لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ! لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ!»

كَانَ قَائِدُ الْفِرْقَةِ يَذَرُعُ الْمَكَانَ ذَهَابًا وَإِيَابًا خَلْفَ الرِّجَالِ فِي انْفِعَالٍ، وَظَلَّ يَرْدُدُ: «لَا

تُطْلِقُوا النِّيرَانَ أَيُّهَا الْفِتْيَانُ. لَا تُطْلِقُوا النِّيرَانَ إِلَّا عِنْدَمَا أُخْبِرْكُمْ. انْتِظِرُوا حَتَّى يَقْتَرِبُوا

كَثِيرًا.»

أَلْقَى هنري نَظْرَةً عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْحَقْلِ أَمَامَهُ، وَتَوَقَّفَ عَنِ التَّفَكُّيرِ فِيمَا إِذَا كَانَتْ
الْبُنْدُوقِيَّةُ مَحْشُوءَةً أَمْ لَا. وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ، وَقَبْلَ أَنْ يُخْبِرَ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَلَى وَشِكِ الْفِتَالِ، صَوَّبَ
بُنْدُوقِيَّتَهُ، وَأَطْلَقَ أَوَّلَ رَصَاصَةٍ عَشَوَائِيَّةٍ، حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَصْدُرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي
تَشْغِيلِ سِلَاحِهِ.

فَقَدَ هنري فَجَاءَةً قَلْفَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ إِذْ شَعَرَ وَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرَ، كَانَ الشَّيْءُ
الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْرِفُهُ أَنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مَا هُوَ فِيهِ الْآنَ، فَهُوَ فِي وَرْطَةٍ، لَنْ يَسْتَطِيعَ بِأَيِّ حَالٍ
أَنْ يَتْرَكَ كَتِيبَتَهُ بَعْدَ الْآنَ. كَانَ دَائِمَ الْإِنْتِبَاهِ لِرِفَاقِهِ الْوَاقِفِينَ بِجَوَارِهِ، وَكَأَنَّ رَابِطَةَ إِخَاءٍ
قَدْ وُلِدَتْ مِنْ بَيْنِ الدُّخَانِ وَخَطَرِ الْمَوْتِ.

الفصل السابع

وَأَخِيرًا الْقِتَالُ

عَمِلَ هنري بِسُرْعَةٍ، وَمَلَأَ أُذُنَيْهِ صَوْتُ ضَجِيجِ مُزْعِجٍ، وَمَا إِنَّ مَرَّ الصَّوْتِ، حَتَّى شَعَرَ بِغَضَبٍ شَدِيدٍ وَكَأَنَّهُ وَحْشٌ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ الْخِنَاقَ. حَارَبَ هنري بِجُنُونٍ، وَكَانَ جَمِيعُ الرِّجَالِ مِنْ حَوْلِهِ يُصْدِرُونَ أَصْوَاتًا غَرِيبَةً. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَتَّظَاهَرُ بِمَظْهَرِ الْبُطُولَةِ، بَلْ كَانُوا مُنْشَغِلِينَ لِلْغَايَةِ بِحَشْوِ الْبَنَادِقِ وَإِطْلَاقِ النَّيْرَانِ وَإِعَادَةِ حَشْوِهَا.

وَقَفَ الضُّبَّاطُ وَرَاءَ الرِّجَالِ وَأَخَذُوا يُشَجِّعُونَهُمْ.

التَقَى مُلَازِمٌ وَحْدَهُ هنري بِجُنْدِيٍّ كَانَ قَدْ فَرَّ عِنْدَمَا بَدَأَ إِطْلَاقُ النَّيْرَانِ، فَجَذَبَهُ مِنْ يَاقَتِهِ وَأَرْغَمَهُ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى الصَّفِّ الْأَمَامِيِّ. عَادَ الْجُنْدِيُّ، لَكِنْ كَانَ وَاضِحًا أَنَّ قَلْبَهُ لَمْ يَكُنْ فِي مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ. حَاوَلَ الْجُنْدِيُّ إِعَادَةَ تَعْبِئَةِ بُنْدُقِيَّتِهِ، لَكِنْ يَدَيْهِ كَانَتَا تَرْتَجِفَانِ بِشِدَّةٍ حَتَّى اضْطُرَّ الْمُلَازِمُ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ.

تَسَاقَطَ الرِّجَالُ هُنَا وَهُنَاكَ، وَكَانَ قَائِدُ فِرْقَةِ هنري قَدْ قُتِلَ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ. كَانَ جَسَدُهُ مُمَدَّدًا كَرَجُلٍ يَسْتَرِيحُ، لَكِنْ عَلَتْ وَجْهَهُ نَظْرَةٌ دَهْشَةٍ وَأَسَى، وَكَأَنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ صَدِيقٍ لَا يَبِيدُ عَدُوًّا. أُصِيبَ رَجُلٌ كَانَ يَبْكِي بِجَوَارِ هنري بِطَلْقَةٍ أَسَالَتْ الدَّمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ.

وَفِي النِّهَايَةِ، سَرَتْ صَيْحَةٌ فِي الصَّفِّ، وَتَوَقَّفَ إِطْلَاقُ النَّيْرَانِ. عِنْدَمَا انْتَشَعَ الدُّخَانُ، رَأَى هنري أَنَّ الرِّجَالَ ذَوِي الرِّزِيِّ الرَّمَادِيِّ قَدْ تَقَهَّقُوا إِلَى الْخَلْفِ. كَانَ الْعَدُوُّ مُنْتَشِرًا فِي مَجْمُوعَاتٍ، وَبَدَأَ بَعْضُ الْجُنُودِ فِي فِرْقَتِهِ بِالصِّيَاحِ، بَيْنَمَا حَيَّمَ الصَّمْتُ عَلَى الْكَثِيرِينَ. وَعِنْدَمَا هَدَأَ هنري، شَعَرَ وَكَأَنَّهُ سَيَحْتَنِقُ. كَانَ مُتَسَخِّمًا وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا؛ فَأَخَذَ شَرْبَةً طَوِيلَةً بَارِدَةً مِنْ قَرْبَةِ الْمِيَاهِ.

صَاحَ أَحَدُ الرِّجَالِ: «لَقَدْ دَحَرْنَاهُمْ!»

كَانَ هِنْرِي مُبْتَهَجًا. كَانَ مُحَاطًا بِالْكَثِيرِ مِنَ الْجُنُثِ الْمُمَدِّدَةِ حَوْلَهُ، وَكَأَنَّهَا قَدْ
سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ. لَقَدْ رَأَى الْمَعَارِكَ تَدُورُ رَحَاَهَا عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَنَعَجَبَ أَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ فِي وَسْطِ الْمَعْرَكَةِ.
عِنْدَمَا نَظَرَ حَوْلَهُ، لَاحَظَ السَّمَاءَ الزَّرْقَاءَ وَالشَّمْسَ الَّتِي تُشْرِقُ عَلَى الْأَشْجَارِ وَالْحُقُولِ،
وَتَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ مِنْ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَمْ تَتَأَنَّرْ بِكُلِّ تِلْكَ الْحُرُوبِ.

الفصل الثامن

فِرَارُ الرِّجَالِ

نَظَرَ هِنْرِي حَوْلَهُ تُصِيبُهُ حَالَةٌ مِنَ الدُّوَارِ. التَّقَطَّ قُبَعَتُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَتَحَرَّكَ دَاخِلَ سُتْرَتِهِ حَتَّى يَسْتَوِيَ وَضَعَهَا، ثُمَّ انْحَنَى لِيَعْقِدَ رِبَاطَ حِذَائِهِ.
لَقَدْ انْتَهَتْ أُخِيرًا! مَرَّ الْإِخْتِبَارُ، وَانْقَضَتْ صُعُوبَاتُ الْحَرْبِ. كَانَ مُبْنَهَجًا، وَعَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا. شَعَرَ الرِّجَالُ الْآخَرُونَ بِنَفْسِ الْفَخْرِ الَّذِي شَعَرَ بِهِ هِنْرِي، فَصَافَحَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَسَاعَدُوا الْجَرَحَى مِنْهُمْ، لَكِنْ فَجَاءَ انْدَلَعَتْ صَيْحَاتُ الدُّهُولِ بَيْنَ الْجُنُودِ.

صَاحَ أَحَدُ الرِّجَالِ: «لَقَدْ أَتَوْا مَرَّةً أُخْرَى!»
رَأَى هِنْرِي عَنْ بُعْدٍ أَنَاثًا يَعْذُونَ خَارِجَ الْغَابَاتِ، وَرَأَى أَيْضًا الْعَلَمَ الْمَائِلَ يُسْرِعُ إِلَى الْأَمَامِ.

دَارَتِ الْقَذَائِفُ — الَّتِي لَمْ تُرِيكِ الْجُنُودَ بَعْضَ الْوَقْتِ — حَوْلَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى. كَانَتْ تَنْفَجِرُ وَسَطَ الْحَشَائِشِ وَبَيْنَ الْأَشْجَارِ. بَدَتْ الْإِنْفِجَارَاتُ كَأَنَّهَا زُهُورٌ غَرِيبَةٌ تَتَفَقَّحُ فِي حَرَكَةٍ عَنِيفَةٍ.

تَأَوَّهَ الرِّجَالُ، وَتَحَرَّكُوا فِي بُطْءٍ وَصُعُوبَةٍ. وَمَا إِنْ رَأَوْا الْإِقْتِرَابَ السَّرِيعَ لِلْعَدُوِّ، حَتَّى بَدَءُوا يَتَمَرَّدُونَ عَلَى وَاجِبِهِمْ.

سَأَلَ أَحَدُهُمْ: «لِمَ أَذَا لَا يُرْسَلُ أَحَدٌ دَعْمًا؟»
وَقَالَ آخَرُ: «لَنْ نَنْجُو مِنْ هُجُومِ ثَانٍ، لَمْ آتِ إِلَى هُنَا لِأَحَارِبَ جَيْشِ الْمُتَمَرِّدِينَ اللَّعِينِ كُلَّهُ وَحْدِي.»

حَدَّقَ هنري في دُھولٍ. بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ الْقِتَالَ سَيَكُونُ وَشِيكًا. لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مَعْرَكَةٌ أُخْرَى. ظَلَّ يَنْتَظِرُ وَكَأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَتَوَقَّفُونَ وَيَعْتَزِفُونَ أَنَّهُ كَانَ خَطَأً، لَكِنَّ إِطْلَاقَ النِّيرانِ بَدَأَ ثَانِيَةً، وَتَوَالَى فِي كُلِّ الْإِتِّجَاهِ. كَانَتْ رَقَبَةُ هنري تَرْتَعِشُ، وَيَدَاهُ مُتَبَيِّسَتَيْنِ. بَدَأَ يَتَخَيَّلُ أَنَّ جُنُودَ الْعَدُوِّ أَفْضَلُ وَأَقْوَى مِنَ الرِّجَالِ فِي فِرْقَتِهِ. لَا بُدَّ وَأَنَّ جُنُودَ الْعَدُوِّ عِبَارَةٌ عَنِ آلَاتٍ مِنْ حَدِيدٍ. لَقَدْ بَدَؤَا كَالْتَنَانَيْنِ وَسَطَ الدُّخَانِ.

فَجَاءَتْ! تَوَقَّفَ رَجُلٌ كَانَ قَرِيبًا مِنْ هنري وَمُنْشَغَلًا بِحَشْوِ بُنْدُقِيَّتِهِ، وَلَازَ بِالْفِرَارِ وَهُوَ يُطْلِقُ صِيحَةً عَالِيَةً. شَاهَدَ رَجُلٌ آخَرُ كَانَتْ تَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِهِ عَلَامَاتُ الشَّجَاعَةِ هَذَا الْمَشْهَدَ، وَتَمَلَّكَهُ الْخَوْفُ، فَالْقَى هُوَ الْآخَرُ بِبُنْدُقِيَّتِهِ وَلَازَ بِالْفِرَارِ. لَمْ يَبْدُ الْخِزْيُ عَلَى وَجْهِهِ، كَانَ يَفِرُّ كَالْزَنْبِ.

بَدَأَ رِجَالُ آخَرُونَ فِي الرُّكُضِ وَسَطَ الدُّخَانِ، وَشَاهَدَهُمْ هنري؛ فَصَرَخَ صَرْخَةً هَلَعِ وَاسْتَدَارَ وَأَخَذَ يَعْدُو.

لِلْحَلْظَةِ فَقَدَ هنري إِحْسَاسَهُ بِالْإِتِّجَاهِ الْإِمْنِ؛ فَالْمَوْتُ وَالْإِصَابَةُ يَهْدِدَانِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ. بَدَأَ يَرْكُضُ نَحْوَ مَوْخَرَةٍ فِرْقَتِهِ، وَفَقَدَ بُنْدُقِيَّتَهُ وَقُبْعَتَهُ، وَطَارَ مَعْطُفُهُ مَفْتُوحَ الْأَرْزَارِ مَعَ الرِّيَّاحِ. كَانَ وَجْهُ هنري مَكْسُوءًا بِالرُّعْبِ الَّذِي نَسَجَهُ فِي خَيَالِهِ. حَاوَلَ الْمَلَاذِمُ أَنْ يُمْسِكَ بِهِ، لَكِنَّهُ هَرَبَ، هَرَبَ مِثْلَ رَجُلٍ كَفِيفٍ، اصْطَدَمَ كَتِفُهُ بِإِحْدَى الْأَشْجَارِ بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ أَرْضًا.

مَا إِنَّ أَدَارَ هنري ظَهَرَهُ إِلَى الْعَدُوِّ، حَتَّى تَزَايَدَتْ مَخَافَتُهُ أَكْثَرَ فَاكْتَرَّ. جَعَلَ خَيَالُهُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْوَأَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ حَقِيقَةً؛ وَبَيْنَمَا كَانَ يَفِرُّ، رَأَى الرِّجَالَ عَلَى يَمِينِهِ وَعَلَى يَسَارِهِ يَفْعَلُونَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ، وَسَمِعَ وَقَعَ أَقْدَامٍ عَدِيدَةٍ خَلْفَهُ. تَسَاقَطَتِ الْقَذَائِفُ فَوْقَ رَأْسِهِ تُصَاحِبُهَا صَرَخَاتُ طَوِيلَةٍ جَامِحَةٍ.

انْتَابَ هنري الدُّهُولَ عِنْدَمَا مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ أُخْرَى يُشَارِكُ أَفْرَادَهَا فِي الْقِتَالِ، كَانُوا يُقَاتِلُونَ بِحِمَاسٍ بَالِغٍ، وَلَا أَحَدٍ مِنْهُمْ يَبْدُو عَلَى دِرَايَةِ الْمَوْتِ الْقَائِمِ نَحْوَهُمْ. فَكَّرَ هنري أَنَّهُمْ حَمَقَى وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ.

وَاصَلَ هنري تَحَرُّكَهُ بَعِيدًا عَنِ الْأَحْدَاثِ، وَأَخِيرًا، رَأَى جِنْرَالًا يَمْتَطِي جَوَادًا. أحيانًا يَكُونُ الْجِنْرَالُ مُحَاطًا بِرِجَالٍ آخَرِينَ عَلَى صَهَوَاتٍ جَيَادِهِمْ، وَأحيانًا أُخْرَى يَكُونُ بِمُفْرَدِهِ.

مَكَثَ هِنْرِي بِجَوَارِ الْجِنْرَالِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ لِمَا كَانَ يَقُولُ. رُبَّمَا يَسْأَلُهُ
الْجِنْرَالُ عَنْ مَعْلُومَاتٍ فَيُخْبِرُهُ هِنْرِي بِكُلِّ الْإِزْتِبَاكِ الَّذِي يَجْتَاحُ الصُّفُوفَ الْأَمَامِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ
كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ. أَرَادَ هِنْرِي أَنْ يُخْبِرَ الْجِنْرَالَ أَنَّهُ مِنَ الْخَطِئِ أَنْ يَجْلِسَ هُنَا دُونَ أَنْ
يَبْدُلَ أَيَّ جُهْدٍ لِإِقْفَافِ الْمَوْتِ الَّذِي يَحْصُدُ الْأَرْوَاحَ خَلْفَهُ. أَيُّ أَحْمَقَ سَيَقُولُ إِنَّهُ يَنْعَيْنُ عَلَى
الرَّجَالِ التَّقَهُّقْرِ إِلَى الْوَرَاءِ.

هُرَعَ أَحَدُ الضُّبَاطِ إِلَى الْجِنْرَالِ، وَقَالَ: «بِحَقِّ السَّمَاءِ، لَقَدْ فَعَلُوهَا! لَقَدْ أَوْفَقُوهُمْ!»
بَدَأَ الْجِنْرَالُ يَصِيحُ فِي جُنُودِهِ: «لَقَدْ نَلْنَا مِنْهُمْ! نَلْنَا مِنْهُمْ بِالتَّأَكِيدِ!»

الفصل التاسع

رَجُلُ الْغَابَةِ

انْكَمَشَ هنري وكأنَّه مُتَلَبِّسٌ بِجَرِيمَةٍ. لَقَدْ انْتَصَرُوا رَغَمَ كُلِّ شَيْءٍ! الْحُمَقَى الَّذِينَ ظَلُّوا فِي الْخَلْفِ هَزَمُوا الْعَدُوَّ. اسْتَطَاعَ سَمَاعُ الْهَتَافِ مِنْ خَلْفِهِ. اسْتَدَارَ وَقَدْ تَمَلَّكَهُ شُعُورٌ بِالذُّهُولِ وَالْغَضَبِ، شَعَرَ أَنَّهُ أَخْطَأَ.

أَخْبَرَ هنري نَفْسَهُ أَنَّهُ فَرَّ لِأَنَّ الْهَزِيمَةَ السَّاحِقَةَ كَانَتْ وَشِيقَةً. لَقَدْ فَعَلَ الصَّوَابَ بِأَنْ أَنْقَذَ نَفْسَهُ. كَانَ هنري جُزْءًا صَغِيرًا مِنَ الْجَيْشِ، وَوَاجِبُ كُلِّ جُزْءٍ صَغِيرٍ أَنْ يُنْقَذَ نَفْسُهُ إِذَا اسْتَطَاعَ. وَبَعْدَهَا يُمَكِّنُ لِلضُّبَاطِ إِعَادَةَ تَجْمِيعِ الْأَجْزَاءِ الصَّغِيرَةِ مَعًا لِتَكُونِ الْجَيْشَ ثَانِيَةً. أَكَّدَ هنري لِنَفْسِهِ أَنَّ تَصَرُّفَهُ كَانَ تَصَرُّفًا حَكِيمًا.

فَكَرَّ هنري فِي رِفَاقِهِ الَّذِينَ تَبَتُّوا وَرَبِحُوا الْمَعْرَكَةَ؛ وَزَادَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مِنْ شُعُورِهِ بِالْمَرَارَةِ؛ إِذْ بَدَأَ أَنْ حَمَاقَتَهُمْ قَدْ خَدَعَتْهُ. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ تَصَرَّفَ بِذَكَاءٍ عِنْدَمَا لَازَ بِالْفِرَارِ، وَالْآنَ يَشْعُرُ بِغَضَبٍ شَدِيدٍ مِنْ رِفَاقِهِ الَّذِينَ لَمْ يَفْعَلُوا الْأَمْرَ ذَاتَهُ.

أَدْرَكَ هنري أَنَّ رِفَاقَهُ سَيَسْخَرُونَ مِنْهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَعْسَكِ، وَبَدَأَ يُشْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ عِنْدَمَا فَكَّرَ فِي الْمُعَامَلَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي سَيَلْقَاهَا مِنْهُمْ. تَرَكَ الْحَقْلَ، وَاتَّجَهَ إِلَى بُقْعَةٍ كَثِيفَةٍ فِي الْغَابَةِ. أَرَادَ أَنْ يَبْتَعدَ عَنِ صَوْتِ الطَّلَاقَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تَزَالُ تُدَوِّي.

كَانَتْ الْأَرْضُ مُغَطَّاةً بِالْكَرُومِ وَالشَّجَرَاتِ وَالْأَشْجَارِ الْقَرِيبِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ عَبْرَهَا. جَرَحَتْ أَشْوَاكُ الشَّجَرَاتِ قَدَمَيْهِ، وَسَدَّتْ فُرُوعُ الْأَشْجَارِ الطَّرِيقَ أَمَامَهُ. لَمْ يَسْتَطِعِ السَّيْرَ فِي هُدُوءٍ دَاخِلِ الْغَابَةِ، بَلْ أَصْدَرَ جَلْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى بَاتَ خَائِفًا مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ الْآخَرُونَ. ابْتَعَدَ كَثِيرًا دَاخِلَ الْغَابَةِ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ

مُظْلِمٍ يُمَكِّنُهُ الْبَقَاءُ فِيهِ وَجِيدًا. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ، خَفَتِ صَوْتُ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ، وَانْطَلَقَتْ أَصْوَاتُ الْمَدَافِعِ بَعِيدًا. تَوَهَّجَتِ الشَّمْسُ وَسَطَ الْأَشْجَارِ، بَيْنَمَا أَصْدَرَتِ الْحَشَرَاتُ أَصْوَاتًا كَايِقَاعِ الْمَوْسِيقَى. لَقَدْ بَدَأَ وَكَانَتْهَا تَصْرُّ بِأَسْنَانِهَا فِي تَنَاعُمٍ. قَرَعَ نَقَارُ الْخَشَبِ جَانِبَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ، وَمَرَّ طَائِرٌ فِي الْهَوَاءِ.

بَعِيدًا كَانَ طَنِينُ الْمَوْتِ، أَمَّا هُنَا فَلَا يَسْمَعُ هِنري سَوَى أَصْوَاتِ الطَّبِيعَةِ. وَسَطَ هَذَا الْمَشْهَدِ، شَعَرَ هِنري أَنَّهُ أَفْضَلُ حَالًا. كَانَ يَشْعُرُ بِالسَّكِينَةِ. سَقَطَ كُورُ صَنْوَبِرٍ مِنْ فَوْقِ شَجَرَةٍ، وَهَبَطَ بِجَوَارٍ سَنَجَابٍ فَرَّ بَعِيدًا، وَرَأَى هِنري أَنَّ هَذَا هُوَ قَانُونُ الطَّبِيعَةِ. لَقَدْ أَدْرَكَ السَّنَجَابُ أَنَّ هُنَاكَ خَطَرًا يُحْدِقُ بِهِ؛ فَهَرَبَ بَعِيدًا. تَوَعَّلَ هِنري فِي الْعَابَةِ، وَأَخِيرًا وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ بَدَتْ فِيهِ الْأَغْصَانُ الْمُزْتَفِعَةُ الْمُقْوَسَةُ وَكَانَتْهَا تُشَكِّلُ كَنِيسَةً صَغِيرَةً. شَكَلَتْ أَوْرَاقُ الصَنْوَبِرِ بِسَاطًا بُنْيَا، وَكَانَ هُنَاكَ ضَوْءٌ خَافِتٌ.

تَوَقَّفَ عِنْدَ الْمَذْخَلِ مَصْدُومًا مِمَّا رَأَاهُ أَمَامَهُ. كَانَ أَمَامَهُ جُنَّةٌ رَجُلٍ يَسْتَنِدُ بِظَهْرِهِ إِلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ. كَانَ الرَّجُلُ يَرْتَبِي زِيًّا أَزْرَقَ اللَّوْنِ فِيمَا مَضَى، لَكِنَّهُ الْآنَ بَهَتْ حَتَّى صَارَ دَرَجَةً كَثِيبَةً مِنَ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ. تَغَيَّرَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ اللَّتَانِ كَانَتَا تُحْدَقَانِ فِي هِنري إِلَى لَوْنٍ بَاهِتٍ مِثْلَ جَوَانِبِ السَّمَكَةِ. كَانَ فَمُهُ مَفْتُوحًا، وَتَغَيَّرَتْ شَفَتَاهُ اللَّتَانِ كَانَتَا حَمْرَاوَيْنِ يَوْمًا إِلَى لَوْنٍ أَصْفَرٍ مُخِيفٍ. كَانَ النَّمْلُ الصَّغِيرُ يَزْحَفُ فَوْقَ بَشَرَةِ الرَّجُلِ الرَّمَادِيَّةِ، وَإِحْدَاهُنَّ تَحْمِلُ كُتْلَةً مَا فَوْقَ شَفَتِهِ الْعُلْيَا. أَطْلَقَ هِنري صَرْخَةً عِنْدَمَا رَأَى الْجُنَّةَ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّحَرُّكَ أَوْ إِشَاحَةَ نَظَرِهِ بَعِيدًا عَنِ الرَّجُلِ. بَدَأَ وَكَانَتْهُ تَحَوَّلَ إِلَى صَخْرَةٍ لِبَضْعٍ دَقَائِقٍ. حَدَقَ فِي عَيْنَيِ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ، وَبِطْءٍ وَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ خَلْفَهُ وَأَسْنَدَهَا عَلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ، وَعَلَى وَضْعِهِ هَذَا أَخَذَ يَرْجِعُ إِلَى الْخَلْفِ خُطْوَةً خُطْوَةً، وَهُوَ لَا يَزَالُ يَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ. كَانَ يَخْشَى لَوْ اسْتَدَارَ أَنْ تَقْفَرَ الْجُنَّةُ وَتُطَارِدَهُ.

اصْطَدَمَتِ الْأَغْصَانُ بِهِنري وَكَانَتْهَا تُهَدِّدُهُ بِأَن تَسْقِطَهُ أَرْضًا. عَلِقَتْ قَدَمَاهُ فِي الْكُرُومِ، وَتَحِيلَ أَنَّهُ يَلْمُسُ الْجُنَّةَ، فَاَنْتَقَضَ فَزَعًا.

رَجُلُ الْغَايَةِ

أَخِيرًا تَخَلَّصَ هِنْرِي مِنَ الْأَغْصَانِ وَالْكُرُومِ، وَهَرَبَ بَعِيدًا. لَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ
يَذْهَبُ، بَلِ اكْتَفَى بِالرَّكْضِ. فِي مُحِيلَتِهِ، كَانَتْ تُطَارِدُهُ صُورَةُ النَّمْلِ الْأَسْوَدِ الرَّاحِفِ فَوْقَ
الْوَجْهِ الرَّمَادِيِّ.

بَعْدَ فَتْرَةٍ، تَوَقَّفَ هِنْرِي وَأَرْهَفَ السَّمْعَ. كَانَ يَلْهَثُ مِنْ أَثَرِ الْعَدُوِّ. تَخَيَّلَ صَوْتًا غَرِيبًا
يَصْدُرُ مِنْ حَلْقِ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ وَيَصْرُخُ فِيهِ.

تَحَرَّكَتِ الْأَشْجَارُ خَلْفَهُ حَوْلَ الْجُثَّةِ مَعَ الرِّيحِ الْهَادِئَةِ، وَخَيَّمَ صَمْتُ كَثِيبٍ عَلَى
الْمَكَانِ.